# الضلالة والهدى في الخطاب القرآنيّ للنبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بين الرواية التفسيريّة والرواية التاريخيّة دراسة نقديّة مقارنة

**Misguidance and Guidance in the Qur'anic iscourse of the Prophet (PBUH):Between Prophetic Tradition (Hadeeth) and Historical Tradition – A omparative Critical Study**


**أ.م.د. أحمد فاضل عجيمي**
**جامعة ذي قار / كلية الآثار**

**Asst. Prof. Dr. Ahmed Fadhil Ajimi**
**University of Thi-Qar**
**College of Archaeology**



**ملخص البحث :**

البحث هو دراسة نقدية ومقارنة بين روايات التفسير وروايات التاريخ للآية القرآنية { ووجدك ضالا فهدى } لاستعراض أوجه الإجابات التاريخية عن معنى الضلال والهدى في هذه الآية، والمعنى الروائي الذي تنضح به الروايات من نفي الايمان والتوحيد والتقوى قبل النبوة والوحي في ضوء تفسير بعض أهل الخلاف، وكذلك الحال في معنى الهدى، وهل يعني الهدى العصمة المطلقة؟ وما هي أوجه التشابه بين المفسرين ومؤرخي السيرة في قراءة معنى هذه الآية المباركة، والاختلافات التي افرزتها القراءة العقديّة للطرفين حسب منطلقاتهم الفكريّة في ضوء زمكانية النص وبيئة المفسر التي بمرور الوقت ادخلت عليها الكثير من القصص والروايات والاحداث .وقسم البحث الى مقدمة وخاتمة واستنتاجات وثلاث مباحث، المبحث الأول : الضلالة والهدى في النص القرآني ، والمبحث الثاني : الضلالة والهدى للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) في روايات المفسرين ، والمبحث الثالث الضلالة والهدى للنبي (صلى

الله عليه واله وسلم) في مرويات السيرة .

**الكلمات المفتاحية :** الضلالة ، الهدى ، النبي ، المفسرين ، اهل السيرة

Abstract

This research is a critical and comparative study between exegesis (Tafsir) accounts and historical hadeeth regarding the Quranic verse: "And He found you lost, and He guided you" (Surah Ad-Duha: 7). This paper aims to review various historical interpretations concerning the meanings of "misguidance" (Dhalal) and "guidance" (Huda) within this verse. The study examines the tradition implications suggested by certain tarditions, such as the denial of faith, monotheism, and piety before prophethood and revelation in light of the interpretations of some dissenting schools (Ahl al-Khilaf). Furthermore, it investigates the meaning of "guidance". Does guidance indicate absolute infallibility (Ismah)? The paper also explores the points of convergence between commentators (Mufassirun) and biographers (Ahl al-Sira) in their reading of this blessed verse, as well as the divergences produced by their respective theological frameworks and intellectual premises. This has been analyzed in the context of the "spatio-temporality" of the text and the interpreter's environment, which, over time, introduced numerous stories, traditions, and events into the discourse. The research is divided into an introduction and three sections: the first, "Misguidance and Guidance in the Qur'anic Text"; the second, "Misguidance and Guidance of the Prophet (PBUH) in the traditions of the Commentators"; and the third, "Misguidance and Guidance of the Prophet (PBUH) in the traditions of the Prophet's Biography."

Keywords: Misguidance, Guidance, Prophet (PBUH), Commentators, Biographers

## المقدمة

يشير مفهوم الضلالة أو الضلال في اللغة والاصطلاح لمفهوم واحد، وهو الضياع وعدم الاهتداء للشيء أو الحقيقة، والحيرة، والعدول عن الصواب[1]، قال ابن هلال العسكري: الضلال اصله الزوال عن القصدية، والعمل من دون بصيرة، وهما طريق يسير بصاحبه نحو الهلاك؛ ولذلك عبر عن الضلال بالهلاك ، ثم استخدمت المفردة لمن انحرف عن سبيل طاعة الله؛ فقيل للكافر وللفاسق: ضال [2].

ويقال الضّلال أيضا، لكلّ عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، وقيل هوَ العُدُولُ عن الطريقِ المُسْتَقِيمِ، وتُضَادُّه الهِدَايةُ[3] .

وسُئل أحدهم النبي عن ضَوالِّ الإبل فقال:((ضالَّةُ المؤمن حَرَقُ النار))، ونهاه عن أَخذها ، وان فعل فالمصير النار، ثم قال: (( مالك ولها، مَعها حِذاؤُها وسِقاؤها تَرِدُ الماءَ وتأْكل الشَّجَر)) ، وهنا منع التعرض لها فهي تَرِدُ الماءَ وتَرْعى

دون راعٍ يحفظها، وطلب تركها حتى يأتيها صاحبها[٤].

وقد تطلق مفردة الضَّالَّة على المعاني، ومنه القول الشائع : الحكمة ضالَّةُ المؤمن ، أوفي رواية : ضالَّةُ كل حكيم، أي لا يزال يطلبها المؤمن كما يطلب الرجل ضالته المفقودة[٥]،

وعليه فأنّ الأصل الواحد في الضلال هو ما يقابل الاهتداء ، فالضلال هو فقدان الهداية [٦]، وهو كما يقال للذي عمِل عَمَلاً بدون نفعلاً : قد ضَلَّ سَعْيُك[٧] .

والهدى : الدلالةَ على سبيل الحق ومنهج الدين[٨] ، والهُدى تعني أيضاً: الطاعةُ والوَرَعُ[٩] ، وإنّ الأصل في ( الهدى ): هو معرفة الطريق الصحيح، و طرق الوصول اليه، وهي تقابل الضلال، أما في جزء مادّي، أو معنوي ، أو في خيراً أو شر[١٠].

قال ابن سيده : الهُدى ضدّ الضلال وهو الرَّشادُ [١١]، والهادي من أسمائه تعالى ، وهو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته ، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده ، والهادي الدليل ، ومنه قوله تعالى : {ولكل قوم هاد}[١٢]، والهُدى : إخراج شيء إلى شيء ، والهُدى أيضاً : الطاعةُ والوَرَعُ[١٣] .

**المبحث الأول : الضلالة والهدى في النص القرآني :**

**اولا : الضلالة في النص القرآني:**

كلمة (ضل) وما اشتق منها، وردت في القرآن الكريم في ( ١٩١ ) موضعاً، منها: الضلال بمعنى الشركية منه قوله تعالى : { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً }[١٤] ، وقوله تعالى :{ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}[١٥]، فالمشرك في الآية الكريمة استبدل الضلالة بالهدى ؛ فأضله الله وسلبه نور الهداية فخاب وخسر.

وجاءت مفردة الضلال بمعنى الخسران للأعمال واحباط العمل، قال تعالى:{وما كيد الكافرين إلا في ضلال}[١٦]، وفي خطاب المشركين لأنفسهم والاعتراف بخطئهم، قال القرآن الكريم على لسانهم: { تالله إن كنا لفي ضلال مبين}[١٧]، اي كنا في حيرة عن طريق الصلاح فعبدنا الآلهة كما يعبد الرب[١٨].

وقوله تعالى { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}[١٩]، وهذا نوع آخر من الخسران، إذ وجد البعض أنَّ سعيهم الذي قد سعوه في الحياة الدنيا ، لتحقيق ما كانوا يسعون اليه من سعادات وعمل قد ضاع ولم يكن له أثرٌ يوم الدين، قال الطبري:(( كالذي يشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً، فخسر بيعه وخاب رجاؤه في الذي رجا فضله))[٢٠] .

ويأتي الضلال ايضاً بمعنى إحباط العمل، ومن ذلك قوله تعالى { الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم}[٢١]

، أي بمعنى أبطلها وجعلها ضائعة لا آثر لها ولا نفع؛ لأنها كانت في طاعة غير الله [٢٢].

وجاءت الضلال بمعنى الهلاك والمعصية، من ذلك قوله سبحانه وتعالى في أهل الكتاب: { ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون}[٢٣]، قال الطبري: (( الإضلال في هذا الموضع الإهلاك))[٢٤]، ومن الضلال ما هو نتيجةٌ لمطلق المعصية ، قال الله تعالى وهو يخاطب اصحاب النبي(صلى الله عليه واله وسلم): { وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}[٢٥]. وهنا قارن المعصية بالضلال.

وجاءت الضلال بمعانٍ أخرى كالخطأ، ففي القصص التي أوردها القرآن الكريم لتكون عبرة ذكر اصحاب القرية التي اختبرها الله فأنزل ناراً أحرقت بساتينهم ليلاً فقال سبحانه وتعالى لما رأوا بساتينهم محترقة انكروها: { فلما رأوها قالوا إنا لضالون}[٢٦]، يعني أخطأنا الطريق إلى البستان[٢٧].

ومنه قوله سبحانه وتعالى في سورة يوسف على لسان إخوته : { إن أبانا لفي ضلال مبين}[٢٨] ، أي إن أبانا يعقوب لفي خطأ من فعله، في إيثاره يوسف وأخاه من أمه علينا بالمحبة، ويعني بـ المبين أنه خطأ يبين عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله، ونظر إليه[٢٩]، قال أبو هلال العسكري : لو كانوا يقصدون غير ذلك لكفروا؛ فإن تضليل الأنبياء على الحقيقة كفر [٣٠].

والضلال هنا للنبي يعقوب(عليه السلام) من قبل أولاده العاصين وهو في مقام الذم، وكذلك في حديث نساء القصر لزوجة العزيز: { قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين }[٣١]، والضلال هنا بمعنى الخطأ في مقام الذم ايضاً.

وعبر النص القرآني عن الضلالة ب الجهل، ففي قصة موسى (عليه السلام) وحديث فرعون له حول قتله القبطي، قال:{ فعلتها إذا وأنا من الضالين}[٣٢] ، أي أنا من الجاهلين، وهنا نفى موسى(عليه السلام) عن نفسه الكفر، وذهب بالمفردة الى الجهل، قال الطبري: ان العرب كانت تستخدم مفردتي الضلال والجهل بمعنى واحد فتقول: قد جهل فلان الطريق، وضل الطريق [٣٣].

وعبر عن الضلال بالنسيان، فقال تعالى: {أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى}[٣٤] ، وهنا مفردة الضلال تعني النسيان.

وعبر عن الضلال كذلك بالغفلة، فقال تعالى في قصة نوح(عليه السلام): {ولا تزد الظالمين إلا ضلالا} [٣٥]، وهنا يخبر النبي نوح ربه بان قومه اكثروا في عصيانه وتكذيبه وهم غافلين، فلا تزدهم غفلة، وهي دعوة لقومه للاستغفار ، وقال ابن عاشور: وليس المراد بالضلال هنا الذي هو عن طريق الحق والتوحيد لأنه ينافي دعوة نوح (عليه السلام) قومه إلى الاستغفار والإيمان بالبعث فكيف يسأل

اللّـه أن يزيدهـم منـه، ويجـوز أن يكـون الضـلال أطلـق عـلى العـذاب المسـبب عـن الضـلال ، أي في عـذاب يـوم القيامـة وهـو عـذاب الإهانـة والآلام[٣٦].

**ثانيا : الهدى في النص القرآني:**

أمـا الفعـل (هـدى) فقـد ورد واشـتقاقاته المختلفـة في القـرآن الكريـم في ( ٣٠٦ ) موضعـاً، وبصيـغ متنوعـة منهـا: (هـدى) و(هـادي) و(مهتـدون) و(أهـدى) و(هداها)...الـخ ، وإنّ هـذه الكثافـة وهـذا التنـوع في الذكـر التـي أعطاهـا القـرآن الكريـم لهـذا اللفـظ، يـدلان عـلى أهميتـه وتأثـيره المبـاشر في مجريـات أمـور الإنسـان. وأمـا دلالات لفـظ (الهـدى) في القـرآن الكريـم، فقـد جـاءت الهـدى بمعـانٍ كثـيرة منهـا التوحيـد، كقولـه تعـالى: {هُـوَ الَّـذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ بِالْهُـدَى}[٣٧]، أي هـو الـذي بعـث محمّـدًا ( صـلّى اللّـه عليـه والـه وسـلّم ) بالقـرآن وديـن الإسـلام ، ليظهـره عـلى سـائر الأديـان بالحجّـة والغلبـة[٣٨].

وجـاءت بمعنـى الإيمـان، مـن قولـه تعـالى في قصـة أصحـاب الكهـف: {إِنَّهُـمْ فِتْيَـةٌ آمَنُـوا بِرَبِّهِـمْ وَزِدْنَاهُـمْ هُـدًى}[٣٩]، قـال الطـبري: ((وزدناهـم إلى إيمانهـم بربهـم إيمانًـا ، وبصـيرة بدينهـم ،حتـى صـبروا عـلى هجـران دار قومهـم ، والهـرب مـن بـين أظهرهـم بدينهـم إلى اللـه ، وفـراق مـا كانـوا فيـه مـن خفـض العيـش ولينـه ، إلى خشـونة المكـث في كهـف الجبـل))[٤٠] .

وجـاءت الهـدى بمعنـى البيـان، مـن قولـه تعـالى: { أُولئِـكَ عَـلَى هُـدًى مِّـن رَّبِّهِـمْ وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ}[٤١]، أي عـلى رشـد ودلالـة وبيـان مـن ربهـم ، وقـال تعـالى في موقـع آخـر: { إِنَّ عَلَيْنَـا الْهُـدَى}[٤٢]، أي بيـان الهـدى بالدلالـة عليـه، لأن كل خـير وهـدى فمـن اللـه تعـالى، فأمـا الاهتـداء فإليكـم ، قـال قتـادة : معنـاه إن علينـا بيـان الطاعـة والمعصيـة[٤٣].

وجـاءت الهـدى بمعنـى الإلهـام، كقولـه تعـالى: { قَـالَ رَبُّنَـا الَّـذِي أَعْطَـى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَـهُ ثُـمَّ هَـدَى}[٤٤]"، قـال المفسرون معنـاه ألهـم الحيوانـات كلهـا إلى منافعهـا[٤٥] ، وقـال بعضهـم : هـدى الانسـان لسـبيل الخـير والـشر[٤٦] وقيـل الـذي قـدر الولـد في بطـن أمـه تسـعة أشـهر، فلـما بلـغ الوقـت هـداه للخـروج مـن بطـن أمـه[٤٧].

وقيـل هداهـم إلى دينـه بمعرفـة توحيـده، بإظهـار الـدلالات والبيئـات، وقيـل معنـاه قَـدَّرَ أقواتهـم وهداهـم لطلبهـا[٤٨].

وجـاءت الهـدى بمعنـى الكتـب المنزلـة كالقـران والتـوراة مـن قولـه تعـالى:{ وَمَـا مَنَـعَ النَّـاسَ أن يُؤْمِنُـوا إِذْ جَاءَهُـمُ الْهُدَى}[٤٩]، قـال الزمخـشري: (( ومـا منـع الكافريـن مـن الإيمـان باللّـه ورسـوله وقـت مجـيء الهـدى إليهـم إلا شـبهة تلجلجـت في صدورهـم ، وهـي إنكارهـم أن يرسـل اللّـه رسـولا مـن البـشر ، فكانـوا يسـتغربون إرسـال الرسـل مـن البـشر ، ويطلبـون ملائكـة من السـماء)) [٥٠]، ومـن قولـه تعـالى {وَلَقَـدْ آتَيْنَـا مُـوسَى الْهُـدَى}[٥١]، يعنـي التـوراة فيهـا هـدى ونـور

من الضلالة ودلالة واضحة على معرفة الله وتوحيده[٥٢].

وجاءت في موقع اخر تعني الرسول، كقوله تعالى:{ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٥٣]، أي كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يظل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فيما يستقبلهم وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ[٥٤].

وجاءت هدى بمعنى نهج الأنبياء السابقين، ففي خطاب الله (جلا جلاله) للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال تعالى: {أولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[٥٥]، أي: سر أيها الرسول الكريم على نهج هؤلاء الأنبياء الأخيار فبسنتهم اقتد، فالآية المباركة تجعل من منهاج الأنبياء العظام، قدوة رفيعة للهداية، وقيل : هم أولوا العزم نجباء الرّسل وهم ثمانية عشر[٥٦].

وجاءت هدى بمعنى المتقدم او الداعي او الإمام، قال تعالى:{ وَلِكُلّ قَوْمٍ هَادٍ } [٥٧]، أي: داع، يدعوهم إلى الله، وقيل أي لكل قوم إمام يأتمون به وهاد يتقدمهم ، فيهديهم إما إلى خير وإما إلى شر، وقيل أصله من هادي الفرس، وهو عنقه الذي يهدي سائر جسده[٥٨].

\ تطبيقي ، ومنها ما هو حسي ، ومنها ما هو معنوي ، ومن خلال قراءتنا لآراء المفسرين في هذه الآية توصلنا للنتائج الأتية :

اولا : هناك من المفسرين من يعتقد إن الضلالة ما هي إلا ضلالة عن [النبوة والتوحيد والشرائع والكتاب] وما شابهها : وأصحاب هذا الرأي من المفسرين يقولون { ضالا } في الآية ليس نفي الإيمان والتوحيد والطهر والتقوى عن النبي(صلى الله عليه واله وسلم)، بل تعني نفي العلم بأسرار النبوة وبأحكام الإسلام ، فقيل ووجدك ضَالًّا عنها، ومتحيراً في بيان الكتاب المنزل عليك، لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فهداك الله للنبوة والتوحيد، وانزل نورهما في قلبك؛ لتهدي به الانسانية، فعلَّمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال[٧٠]، ودليلهم قوله تعالى { وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلَا الْإِيمانُ}[٧١].

فالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) لم يكن مالكا لشيء في ذاته الوجودية ، بل كان فاقداً لهذا الفيض الإلهي قبل وصوله مقام النبوة، وأهل الكتاب كانوا يزعمون أن النبوة في بني إسرائيل فهداه إلى النبوة التي ما كان يطمع فيها [٧٢]،ولا خطر شيء من ذلك في قلبه[٧٣]، فالله هداه وبلغ به هذا المقام، وما كان عنده فمن الله[٧٤].

وهناك من جعلها لأمور حدثت بعد البعثة مثل [الوحي والمعراج والهجرة والقبلة] : فقيل أنه حين ظهر جبريل(عليه

السلام) للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) أول مرة كان يخافه خوفاً شديداً ، وربما أراد أن يلقي نفسه من الجبل فهداه الله حتى عرف أنه جبريل (عليه السلام) [٧٥]. وقيل : كنت ضالاً ما كنت تهتدي على طريق السماوات، حين انصرف عنك جبريل فهديتك إذ عرجت بك إلى السماوات ليلة المعراج [٧٦].

وقيل وجدك ضالاً عن الهجرة خارج مكة ، فلما امرك الله بها، وفي الطريق إلى المدينة ضللت الطريق، وضل دليلك، فأرشدك الله إلى الطريق الواضح حتى وصلت [٧٧]، وقيل : وجدك طالباً لقبلتك ضالا عنها فهداك إليها، ومصداقها قوله تعالى: { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا}، ويكون الضلال هنا بمعنى الطلب[٧٨] .

وهذه الآراء بمجملها تشير الى عدم معرفة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بنبوته، وعدم توقعه نزول الوحي، وهي الرواية الرسمية في السيرة وتعني بالمجمل الضلال السلبي قبل البعثة، بينما تدلّ الشواهد التاريخية بالإضافة إلى البراهين العقلية، على أنّه (صلى الله عليه واله وسلم) كان مؤمناً باللّه وموحّداً إيّاه قبل البعثة، فلم يعبد وثناً قط، ولم يسجد لصنم أبداً. وقد أجمع المؤرخون على أنّه كان يخلو بحراء أشهراً يعبد اللّه تعالى فيه، فمن كلام للإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: قال (( ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري))[٧٩].

وذكرت الروايات أنه حجّ الى مكة في مواسم الحج قبل البعثة عدّة حجّات، وكان يأتي بمناسكها على وجهها الصحيح بعيداً عن أعين قريش، فقال الإمام الصادق (عليه السلام): ((حجّ رسول اللّه عشر حجّات مستتراً في كلّها))، وقال الإمام جعفر( عليه السلام): (( لم يحج النبي صلى الله عليه وآله بعد قدوم المدينة إلا واحدة وقد حج بمكة مع قومه حجات))، وعن عمر بن يزيد قال : (( قلت لأبي عبد الله عليه السلام أحج رسول الله صلى الله عليه وآله غير حجة الوداع ؟ قال : نعم عشرين حجة)) [٨٠]

وجاء عن العلاّمة المجلسي، أنّه قد وردت أخبار كثيرة أنّه (صلى الله عليه واله وسلم) كان يطوف ويعبد اللّه في حراء، ويرعى الآداب المنقولة من التسمية والتحميد عند الأكل وغيره[٨١].

ثانياً : هناك من المفسرين من جعل (الضلالة) تسير في دائرة علاقة النبي بقومه : فقال أن المقصود بالآية القرآنية هو ان النبي(صلى الله عليه واله وسلم) كان بين قوم ضلال، ولكنهم اختلفوا في تبيان تلك العلاقة فكانت هناك اراء مختلفة : فقيل: لم يكن أحد من قومك يهديك ويدعوك إلى الله تعالى ، ولكنه هداك وأرشدك ، فحفظك من أمرهم

وعن أخلاقهم، فهداك إليه حتى عرفت الله بصفاته بينهم، وذلك من نعم الله سبحانه عليك[٨٢] .

وقيل: أي وجد قومك ضلالاً ، فهداهم بك وبشرعك، وهذا قول الكلبي والفراء[٨٣]، وقال الطوسي : (( وجدك مضلولاً عنك فهدى الخلق إلى الاقرار بنبوتك والاعتراف بصدقك فوجدك ضالا بمعنى مضلول كما قيل ماء

دافق بمعنى مدفوق، وسر كاتم بمعنى مكتوم))[٨٤].

ونقل لنا الفيض الكاشاني: عن الإمام الرضا(عليه السلام) في تفسير(الضلال) وما قبلها، قوله(عليه السلام): (( يتيما فردا لا مثل لك في المخلوقين ، فآوى الناس إليك، وضالا أي ضالا في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم الله إليك، وعائلا تعول أقواما بالعلم فأغناهم الله بك))[٨٥]

وقيل ووجدك ضالا أي لا أحد على دينك ، وأنت وحيد ليس معك أحد، كالشجرة المنفردة التي يهتدي اليها الناس، فهديت بك الخلق إلي وكانت العرب إذا وجدت شجرة في فلاة من الأرض وحيدة ليس معها ثانية يسمونها : (ضالة) ، فيهتدون بها إلى الطريق[٨٦]، وقال القرطبي:هذا القول أعجب إلي ; لأنه يجمع الأقوال المعنوية[٨٧].

وقيل أي وجدك لا تعرف قدرك، أي ضائعاً في قومك ، خاملا لا تذكر ولا تعرف؛ منفرداً عنهم مجانباً لدينهم، فكانوا نتيجة لذلك يؤذونك، حتى هداك الله إلى الإختلاط بهم، فقوي أمرك إلى أن صرت آمراً والياً عليهم ويكون الضلال هنا بمعنى الضياع[٨٨]، فمعنى الآية كنت مغموراً بين الكفار بمكة فقواك الله تعالى حتى أظهرت دينه[٨٩]

وهذا الرأي بكل تفرعاته، وعلى الرغم من وجود بعض الآراء اللطيفة والمستحسنة من قبل كون النبي(صلى الله عليه واله وسلم) كالشجرة المنفردة الضالة التي يهتدي اليها الناس، أو الضلال المقصود هو الضياع الذي كان عليه قومه حتى هداهم للطريق الصحيح ، لكننا نعتقد أن الضلال هنا لقوم النبي(صلى الله عليه واله وسلم)، وهو بعيد جداً عن ما طرحته الآية القرآنية كون الضمير فيها يعود للنبي وهو المخاطب وليس قومه .

ثالثاً: من الآراء الأخرى للمفسرين إن الضلالة تعني الغفلة والنسيان والحيرة والنظر والتدبر: فقيل وَوَجَدَكَ ضَالًّا ، أي : غافلا عن الأنباء المتقدمة وأخبار الأولين وقصصهم، حتى أطلعك الله تعالى على ذلك ، كقوله تعالى :{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}[٩٠] ، وقيل : ناسياً شأن الاستثناء حين سُئلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح[٩١]، أو لكيفية الثناء ليلة المعراج بسبب الهيبة ، فهداك الله تعالى اليها[٩٢].

وقيل : إن ضلالته في كيفية التعامل مع التنزيل ، فبقي في حيرة ، وهذا ما قاله القاضي عياض عن الجنيد ، أي وجدك متحيراً في بيان ما انزل إليك فهداك لبيانه، فيكون الضلال بمعنى التحير؛ لان الضال متحير[٩٣].

وذكر احد المفسرين أنّ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) كان مهتدياً منذ البداية، ولكنّه كان كما يبدو من الآية الكريمة متحيّراً وضالًا بالنسبة إلى الخطوة الثانية فهداه اللّه تعالى إليها، إذ إنّ حالة التكامل والتصاعد في سلم الكمال متصوّرة حتى في حق الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أنّه كان يعيش حالة تكاملية متجدّدة بسبب نزول القرآن الكريم والوحي عليه حتى أصبح وبالتدريج أكمل الناس وأشرفهم[٩٤].

وقال الشيخ محمد عبده نشأ النبي موحداً، وطاهراً، فلم يسجد لصنم، ولم يرتكب فاحشة، حتى عرفه الناس بالصادق الأمين، فضلال الشرك، وضلال الهوى في العمل، كانا بعيدين عن ذاته الكريمة، ولكن للضلال في هذه الآية هو اشتباه المآخذ على النفس حتى تأخذها الحيرة فيما ينبغي أن تختار، وقد هداه سبحانه وتعالى إلى الحق بعد هذه الحيرة، بأن اختار له ديناً قويماً وعلمه كيف يرشد قومه[٩٥].

قال الثعالبي : وضلال النبي في هذه الآية هو كونه واقفا لا يميز المهيع[٩٦]، بل يدبر وينظر [٩٧]

وهذا الرأي يأخذ معنى الضلال بمعزل عن اليتم والفقر الواضح في نص الآية وكأنه يتحدث عن مراحل زمنية متباعدة، وهو بعيد عن المعنى الحقيقية للآية الكريمة التي نرى في مفرداتها أشارة للتلاحم والتلاصق بين المفردات الثلاث، اليتم، والاعالة، والضلال.

رابعاً: هناك من المفسرين من أخذ جانب أهل السيرة في أن الضلال في الآية يعود الى سيرته قبل البعثة ضال عن الطريق الى مكة في حياته قبل النبوة : فقيل وَوَجَدَكَ ضَالًّا من طريق مكة فهداك الطريق[٩٨] ،فكانّ النبي قد ضلّ بصغره عن قومه في شعاب مكّة ، فوجده أبو لهب فردّه على جدّه[٩٩].

وقيل ضل عن حليمة السعدية حين قدمت به مكة إلى جده وفيه حكاية طويلة، فطلبته وهي تصيح: وامحمداه، حتى دخلت مكة على تلك الحالة فلقيها عبد المطلب، وأخبرته بضلال النبي فخرج يبحث عنه بعد أن طاف بالبيت، ودعا الله سبحانه، فتلقاه ورقة بن نوفل في الطريق، ووجداه تحت شجرة فحمله جده ورده إلى مكة[١٠٠]،

وذكر الضحاك ان عبد المطلب بعد ان سمع بضلال النبي تعلق بأستار الكعبة ، وهو يقول :

يا رب رد ولدي محمدا

اردده ربي واصطنع عندي يداً

فما زال يردد هذا عند البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة وبين يديه محمد قد وجده في الطريق [١٠١].

وقيل إن أبا طالب خرج به إلى الشام فضل عن الطريق فهداه الله تعالى[١٠٢] . وقيل بل خرج النبي مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فجاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل بله عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة وقع بمنها إلى أرض الحبشة ورد النبي إلى القافلة فمن الله عليه بذلك[١٠٣]

وهكذا تعددت الروايات حول نوع تلك الضلالة في الطريق، مرة في شعاب مكة حين كان في حماية عبد المطلب، ومرة حين كانت حليمة السعدية تأتي به إلى مكة لتسلمه إلى جده، ومرة ثالثة حين كان برفقة عمه أبو طالب ضمن قافلة متجهة إلى الشام فضللت الطريق في ليلة ظلماء والله سبحانه هداه في كل هذه المرات وأعاده إلى حضن جده أو عمه، وقال المفسرون هي وجوه ضعيفة ظاهرة الضعف، وفيها وحش من القول بما لا يليق به أن ينسب الى النبي الأكرم [١٠٤] وكأن المفسر هنا كان بين حقيقة لا يمكن أنكارها أو تجاوزها، او التغافي عنها ؛ لا نها تمثل مفصل من مفاصل السيرة، ومرحلة من مراحل حياة النبي [اليتم، والضلال، والهدى]، وبين كون معنى الضلالة قد يكون قادحاً بالنبي وشخصيته فحاول أن يجد حلاً يجنبه هذا الاحراج، فوضع رواية الضياع في الطريق أو في الشام .

خامساً: هناك من ذكر مفردات اخرى بعيدة عن المنطق، فنقل لنا المفسرين قول أبو بكر الوراق وغيره : ووجدك ضالا تحب أبا طالب، فهداك إلى محبة ربك[١٠٥] ، أو كنت ضالاً لا تعرف التجارة ونحوها من أمور الدنيا فهداك الله حتى ربحت تجارتك[١٠٦]، فالمراد من الضلال هنا المعيشة وطريق الكسب؛ يقال للرجل الّذي لا يهتدي طريق معيشته ووجه مكسبه : هو ضالّ لا يدري ما يصنع ولا اين يذهب، فامتنّ اللّه تعالى عليه بأن رزقه وأغناه وكفاه[١٠٧] .

وهي آراء بعيدة ، فكيف يكون حب أبي طالب ضلال، والآية تشير الى اليتم والايواء ؟ فكيف يناقض القرآن نصه في موضع واحد ؟

سادساً : على الرغم من ان المفسرين ابتعدوا عن كون المقصود بالضلالة هو الكفر او على دين قومه قبل البعثة الا ان هناك من ذكر ذلك للرد عليه او لإخراجه مخرج حسن ، قال الطبراني : لا يجوز أن يقال في معناه إنه (عليه السلام) كان على دين قومه فهداه اللّه؛ لأنه تعالى لا يختار للرّسالة من كفر[١٠٨].

وقال فخر الدين الرازي: أما عن الضلالة في قوله تعالى:{ ووجدك ضالاً فهدى}

فالجمهور من العلماء اتفقوا على أن النبي ما كفر بالله ومنهم المعتزلة اللذين قالوا هذا غير جائز عقلاً لما فيه من التنفير، وقال ايضاً : وعند أصحابنا هذا غير ممتنع عقلاً؛ لأنه جائز في العقول أن يكون الشخص كافراً فيرزقه الله الإيمان ويكرمه بالنبوة، الّا أن الدليل السمعي قام على أن هذا الجائز لم يقع وهو قوله تعالى:{ما ضل صاحبكم وما غوى}[١٠٩] وذكر القاضي عياض : انه لا يعلم أحداً من المفسرين قال فيه ضلالة الكفر [١١٠] .

وهذا الرأي معارض بـ قوله تعالى{وتقلبك في الساجدين}، قال الإمام الباقر(عليه السلام) معناه تنقله في اصلاب النبيين من نبي الى آخر حتى أخرج نبياً[١١١]، لأن معنى القلب لغة : تحويل الشيء عن وجهه، ظهراً لبطن ،وبطناً لظهر، والساجدين يعني المصلين، وهذا معناه تنقلك من ساجد لأخر من آبائك، وفيه دلالة على أنّه لم يكن في آبائه من سجد لصنم[١١٢].

قال الثعالبي : البعض وصفه بضلال الكفار، وهذا قد عصم الله منه نبيه، فلم يعبد (صلى الله عليه واله وسلم) صنما قط، ولا تابع الكفار على شيء مما هم عليه من الباطل[١١٣].

وقال الشريف المرتضى: وهذا الوجه ضعيف ؛ لأنّ القراءة غير معروفة ؛ ولأنّ هذا الكلام يسمج ويفسد أكثر معانيه[١١٤]، وفي مختصر تفسير القمي : من ذهب إلى أنّه يريد الذهاب عن الدين ، فهو كفر[١١٥] .

وقال السيد الطباطبائي: الضلالة هنا هي حالة في نفسه مع قطع النظر عن هدايته تعالى فلا هدى للنبي ولا لاحد من الخلق إلا بالله سبحانه فقد كانت نفس النبي في نفسها ضالة وإن كانت الهداية الإلهية ملازمة لها منذ وجدت [١١٦]

وهناك من اخرجها مخرج حسن فقال : أنه (صلى الله عليه واله وسلم) وإن كان عارفاً بالله بقلبه، إلا أنه كان في الظاهر لا يظهر لهم خلافاً ، فعبر عن ذلك بالضلال، وان الله سبحانه وتعالى كان يجنبه الوقوع فيه وانه روي عن النبي قوله: ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كل ذلك والله كان يحول بيني وبين ما أريد من ذلك ، إذ روى كيف بطفولته أراد سماع عزف الدفوف والمزامير مرتين في ليليتين مختلفتين فيجنبه الله ذلك ثم قال ما هممت بعدهما بسوء حتى أكرمني الله تعالى برسالته[١١٧].

وهذه الرواية لا تنسجم مع ما ورد عن كلام الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في خطبته القاصعة التي وصف بها النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، فقال: ((ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن إن كان فطيما أعظم ملك

من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره)) [118] ومن خلال ما طرحناه من خطاب منظومة التفسير، فالضلال في الآية الكريمة قد يذهب للمصطلحات التي تم ذكرها عند المفسرين كالنبوة، أو شريعة الإسلام الّتي نزلت عليه وأمر بتبليغها إلى الخلق، او التجارة، او الهجرة، او بين قوم ضلال كان بينهم كالشجرة المنفردة التي يهتدي اليها الناس.

**المبحث الرابع :**

**الضلالة والهدى للنبي(صلى الله عليه واله وسلم) في مرويات السيرة النبوية**

في الموروث الروائي تعددت الآراء حول معنى الضلالة ويمكن اجمالها بالآتي :

**اولا : النبي على دين قومه ضالا قبل البعثة :**

في كتب السيرة والطبقات ذكر ابن سعد عن سفيان الثوري قال : سمعت السدي[119] يقول: في قوله تعالى: {ووجدك ضالا فهدى}، قال: كان على أمر قومه أربعين عاما[120]، وكان ابن ابي الحديد قد روى عن السدى في قوله تعالى: { ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك } في سورة الشرح: الآية ٢ ، انه قال : وزره الشرك ، فإنه كان على دين قومه أربعين سنة[121] . وذكر ابن كثير عن عثمان بن أبي شيبة عن سلسلة رواة قال : كان النبي يشهد مع المشركين مشاهدهم قبل البعثة ، وانه كان يقول انه سمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله ، قال الثاني: كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام ؟ ، قال: فلم يعد النبي بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدهم[122] .

وهذه الآراء يمكن الرد عليها من خلال كتب السيرة والطبقات نفسها، فهذا الحديث استغربه وانكره الكثيرين على عثمان بن أبي شيبة، واستدل بعضهم بحديث زيد بن حارثة الذي نقل عنه قوله: أنه كان مع النبي في طوافه حول الكعبة قبل البعثة ، فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفت معه ، فلما مررت بصنم من نحاس يقال له إساف ونائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا ، مسحت به فقال: « لا تمسه « ، قال زيد : فطفنا فقلت في نفسي لأمسنه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته فقال النبي: " ألم تنه "، فقال زيد : فو الذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ، ما استلم صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه [123] وثبت في الحديث أن النبي كان لا يقف بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان يقف مع الناس بعرفات كما نقل لنا ابن إسحاق في سيرته إذ قال: عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً

من الله عز وجل له [١٢٤]. وقال البيهقي: قوله على دين قومه يقصد ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل في حجهم ومناكحهم وبيوعهم دن الشرك فإنه لم يشرك بالله قط [١٢٥] .

ونقل لنا البيهقي: عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: (( ذهبت أطلب بعيراً لي يوم عرفة فخرجت فإذا النبي [ صلى الله عليه وسلم ] واقف بعرفة مع الناس فقلت : إن هذا من الحمس[١٢٦] فما له خرج من الحرم - يعني بالحمس قريشاً - وكانت قريش تقف بالمزدلفة وتقول نحن الحمس لا نجاوز الحرم )) [١٢٧] ، وقال ابن كثير ويفهم من قوله هذا أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه، وهذا توفيق من الله له[١٢٨].

ونقل لنا ابن كثير قول ابن حجر: أن هذا الحديث أنكره الناس لان ظاهر قوله أنه باشر باستلام الأصنام وهذا غير صحيح بل انه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم ، وقيل بل شهد مع من يستلم الأصنام وذلك قبل أن يوحى إليه [١٢٩] .

ونقل لنا الحلبي في السيرة الحلبية قول الإمام أحمد بن حنبل في الشفاء: (( إنه موضوع أو يشبه الموضوع)) ، وقول الدار قطني: (( ان ابن أبي شيبة وهم في إسناده، والحديث بالجملة منكر فلا يلتفت إليه والمنكر فيه قول الملك عهده بإستلام الأصنام قبل، فإن ظاهره أنه باشر الاستلام وليس ذلك مرادا أبدا بل المراد أنه شاهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم أي لشهوده بعض مشاهدهم التي تكون عند الأصنام))[١٣٠] ، وقيل المراد بالمشاهد التي شهدها مشاهد الحلف ونحوها لا مشاهد استلام الأصنام[١٣١] .

**ثانياً : الضلالة بمعنى ضل الطريق في حياته الأولى :**

قال ابن هشام في السيرة النبوية : (( قال ابن إسحاق : وزعم الناس - فيما يتحدثون ، والله أعلم - أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها في الناس وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إني قد قدمت بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلني ، فوالله ما أدرى أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا [ له ] : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ،فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوذه ويدعو له ،ثم أرسله إلى أمه آمنة)) [١٣٢] .

ونقلت الرواية نفسها وبتغير بسيط عن ابن سعد رواها عن الواقدي وعمر النبي خمس سنين فقام عبد المطلب عند الكعبة فقال :

لهم أد راكبي محمدا أده إلي

واصطنع عندي يدا

أنت الذي جعلته لي عضدا
لا يبعد الدهر به فيبعدا
أنت الذي سميته محمدا[١٣٣]

وقال ابن شهرشوب ان حليمة فقدته وامه ( آمنة ) على قيد الحياة[١٣٤] .

ونقل لنا القمي عن الواقدي نفس القصة باسلوب آخر على الرغم من نقله من الواقدي نفسه وقال: ان محمد فقد في بني سعد عندما كان مع اخوته من الرضاعة ، وحليمة جائت لعبد المطلب لتخبر باختفائه ، وعند البحث عنه وجده ثلاثة اشخاص بالصدفة وهم ( ورقة بن نوفل وابو مسعود الثقفي وعقيل بن ابي العاص بعد قدومهم من اليمن وجازوا على الطريق الذي فيه محمد[١٣٥]

ونقلها لنا البلاذري عن عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح أو عكرمة ، وان الذي وجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش[١٣٦] ، وقيل من وجده هو ابو جهل، ورده الى جده عبد المطلب [١٣٧]

وهذه الروايات على الرغم من تكرارها في كتب السيرة والطبقات لكن فيها من التناقض الواضح في شخوصها وبيئتها واحداثها مما يجعلها عرضة للنقد والتحليل ويمكن ان نضع عليها النقاط التالية :

١- عدم قناعة ابن اسحاق صاحب الرواية الأولى بصحة روايته فعدها زعما ، فقال: وزعم الناس - فيما يتحدثون ، والله أعلم .

٢- وجود ورقة ابن نوفل في الروايات يثير التساؤل حول وجوده في القضايا المصيرية الخاصة بالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، وكأنه المنقذ دائما، وورقة الحظ التي يلجأ اليها الرواة كلما مر النبي بضائقة ، فأسمه يحشر دائما مع اغلب روايات العهد الأول للإسلام ثم يختفي فجأة .

٣- التناقض في الروايات فيمن أحضر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) الى عبد المطلب ، مرة ورقة بن نوفل ورجل آخر ، ومرة ورقة وابو مسعود الثقفي وعقيل بن ابي العاص ، ومرة ابو جهل وآخر ، وهذا التناقض يثير الريبة والتساؤل .

٤- التناقض في جغرافية الحدث ووقت حدوث الضلالة، مرة في ديار سعد ، واخرى في قدوم حليمة مكة ، مرة وعمره ( خمس سنوات ) وامه أمنة على قيد الحياة ، ومرة بعد وفاتها .

٥- هناك من جعلها في أيام كفالة عمه ابو طالب له فقيل إن أبا طالب خرج به إلى الشام فضل عن الطريق فهداه الله تعالى[١٣٨] .

**ثالثاً :** هناك من الرواة من ذهب الا ان الضلال في الآية هو الضلال عن كيفية العبادة:

قال ابن عربي في الفتوحات الاسلامية: (( قال تعالى في معرض الامتنان على عبده

ووجدك ضالا فهدى أي حائرا فبين لك طريق الهدى من طريق الضلالة فطريق الهدى هنا هو معرفة ما خلقك من أجله حتى تكون عبادتك على ذلك فتكون على بينة من ربك ))[١٣٩]

وهناك من قال إن الله تعالى ما أن خلق نبيه حتى وجده بحاجة إلى أنواع كثيرة من الأشياء التي يحتاجها في حياته ليكون قدوة لغيره، فهو في موقع الحاجة في نطاق سعيه الدائب، وتطلبه المستمر للوصول إلى مواضع القرب والحصول على مواقع الزلفى، فأفاضها عليه مباشرة منذ حاجته اليها بمصداق قوله تعالى في الآية نفسها:{ فَهَدَى } ، حيث لم يقل( ثم هَدَى) ، فأعطاه مثلا الهداية التكوينية بمجرد ظهور حاجته إلى هذه الهداية ، إضافة الى هداية العقل، والتشريع والحكمة والإلهام والوحي، وذلك يعني أن الله سبحانه قد منحه هداية لم يسبقها ضلال، ولو للحظة واحدة ، وعليه يكون هذا الترتيب البياني بين الضلال والهدى، لا يستبطن التدرج في الوجود الخارجي، بمعنى أن يتجسد ضلال، ثم تأتي الهداية فتزيله، بل هو ترتيب قد جاء في دائرة تمكين الناس من إدراك معنى الهدايات والنعم ، والتفضلات الإلهية على النبي ، أي أنه ترتيب نشأ عن السعي الذهني إلى التجزئة بين المدركات ، وتلمُّس الحدود القائمة فيما بينها ، بالاستناد إلى التحليل العقلي ، بهدف تيسير إدراك الحقائق بصورة أعمق وأتم[١٤٠]

وهذه الآراء نستخلص منها ان قوله تعالى { ووجدك ضالا فهدى} لا تعني وجود ضلالة فعلية للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) قبل النبوة ، بل هي تعني في الآية ان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ربما له من قدرات ذاتية فيبقى مع ذلك ضالا، لولا هداية الله له ، والعناية الربانية لكل افعاله، فيروي عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) قوله: ((فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، الا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منى فإنما انا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا مالا نملك من أنفسنا وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى))[١٤١] .

وهذا يعني أنه لا هداية لولا لطف الله وعنايته وتوفيقه ، وهو عاصم نبيه من أول الأمر ، وقبل ان يولد فوضع في ارحام مطهرة كما صرح الحديث ما روي عنه (صلى الله عليه واله وسلم) أنّه قال : (( لم يزل اللّه تعالى ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات لم يدنسني بدنس الجاهليّة وكفى بذلك شرفا وكرما ))[١٤٢] ، لكن بعد أن كان لطف الله حاصلاً من أول الأمر ، فإن العصمة تكون حاصلة بالضرورة من أول الأمر أيضاً .

وإن هذه الآية المباركة هي أحد الأدلة

الظاهرة على أن الله سبحانه منذ خلق نبينا الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) كان قد أعطاه جميع الهدايات التي يحتاجها ، والتي توصله إلى الغايات الإلهية ، ومن بينها هداية التفكر والابتعاد عن صغائر الأمور قبل البعثة ، و والإلهام والوحي والتشريع بعدها ، وخير ما يستدل به هو قوله تعالى { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى والتي نفت الضلالة مطلقا عن النبي من قبل ولادته وحتى وفاته .

**الخاتمة والاستنتاجات :**

١- اختلفت قراءات المفسرين للآية الكريمة { ووجدك ضالا فهدى } عن قراءات اهل السيرة حسب منطلقاتهم العقدية، إذ ذهب المفسرون في استنتاجاتهم انطلاقا من قدسيتهم لشخصية النبي حيث طغى المقدس على قراءاتهم فابتعدوا عن أي صورة تثبت الشركية للنبي قبل البعثة . اما اهل السيرة ورواتها فالواقعية طغت على كتاباتهم فهم يرون ان النص مقدس نعم ولكن شخصية النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عندهم غير مقدسة لذلك هم يرون انه من الممكن ان تكون الشخصية حاملة لكبائر الأمور او صغارها قبل البعثة، وهذا عندهم لا يقدح بنص الرسالة المقدس ( النبوة )، لذلك وعلى الرغم من وجود الاختلاف بين الموروث الروائي ومنظومة التفسير في معنى الظلال المذكور في الآية المباركة، وعلى الرغم من وجود آراء ووجهات نظر عديدة للطرفين، إلا أنه الواضح أن المراد من الضلال في الآية ليس هو الضلال بمعنى الكفر أو الانحراف عن الدين، ذلك لأن النبي معصوم، ومُنَزَّهٌ عن كل أنواع الخطأ والزلل بدلالة الآية القرآنية في سورة النجم: (الآية ٢) { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى}، وهذه تعد من الأدلة التي تنفي شبهة الضلال عنه

٢- قسم من الآراء ذهب بالضلال ليس معناه عدم الهداية والجهل بالشريعة ومعرفة الله، وانما اهتدى إلى معرفة الله بالألطاف الإلهية الربانية، وصداقها تعبد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في غار حراء، واكتمالها فيما بعد بمقام النبوة والرسالة، وهي آراء مستحسنة.

٣- ذهب البعض إلى القول بأن الضلالة المنسوبة في الآية الكريمة لم يكن معناها الضلال الفعلي، وإنما تشير الى بعداً اخر وهو أن سائر الناس ذات الوجود الممتزج بعنصر النفس والمادة كائن ضال بالقوة، وإنه يمتلكون أرضية الضلال بالفعل، ولا يمكنهم السير بمفردهم في طريق الهداية الحقيقية (العصمة) مائة بالمائة إلا إذا شملهم اللطف الإلهي، وإن النبي غير مستثنى من هذه القاعدة، وانه هدي إلى طريق الحق والعصمة بهداية ولطف من

الله سبحانه وتعالى، وهذا معناه أنه لا هداية لولا لطف الله وعصمته وتوفيقه، لكن بعد أن كان لطف الله حاصلاً من أول الأمر ، فإن العصمة تكون حاصلة بالضرورة من أول الأمر أيضاً ، وهي آراء مستحسنة ايضاً.

**٣- نحن نعتقد وبعد دراستنا لمجمل سورة الضحى بكل آياتها إنها تتحدث عن مرحلة متقدمة من حياة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) مرحلة واحدة وليس عدّة مراحل، وهي مرحلة الطفولة عبر بوابات متلاصقة ليس بينها فواصل زمنية، فاستخدام النص القرآني لحرف العطف(و)، وحرف الالحاق (الفاء) { ألم يجدك يتيما فآوى* ووجدك ضالا فهدى* ووجدك عائلا فأغنى}، تشير الى القرب والتلاصق الزمني، فالنبي كان يتيماً، وضالاً، وعائلاً، في وقت واحد بعد وفاة ابيه ثم أمه، فآواه جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب ، ولأنه كان ضالا بعد فقد والديه في بيئة بدوية صحراوية قاسية كما وصفتها المصادر، والضلال كما بيناها في الدراسة استخدمها النص القرآني في بعض الأحيان للدلالة عن الغفلة والحيرة، فهداه الله الى كفالة جده وعمه وهما من الاحناف، فأغنياه عن الفقر، فكفل الله له الخلاص من الحيرة والضياع واليتم والفقر في طفولته بأن عاش في بيئة من الموحدين الأحناف قبل نزول الوحي عليه.**

**الهوامش :**

١- ينظر: الجوهري، الصحاح ، ٥ / ١٧٤٩ ، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ٣٥٦/٣ - ٣٥٧، ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٩١/١١ -٣٩٥

٢- ينظر : ابي هلال العسكري ، الوجوه والنظائر ، ص ٢٩٩، ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٥٥/١٥

٣- ينظر: الزبيدي، تاج العروس ،٤٢٠/١٥، علي خان المدني ، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، ٢٧١/٢.

٤- ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٩٢/١١ ، والحديث رواه الطبراني ، المعجم الكبير ، ١٨٤/١٧ ، والبيهقي ، السنن الكبرى ، ١٩٠/٦

٥- ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٩٢/١١ ، والحديث رواه الطبراني ، المعجم الكبير ، ١٨٤/١٧ ، والبيهقي ، السنن الكبرى ، ١٩٠/٦

٦-حسن المصطفوي ، التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٧/ ٣٨

٧- ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٩٣/١١

٨- الطبري، جامع البيان عن تآويل آي القرآن ، ، ٧/ ٢٣٣

٩- ابن منظور ، لسان العرب ، ١٥/ ٣٥٥

١٠- حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ، ١١/ ٢٤٧

١١- ابن منظور لسان العرب، ١٥/ ٣٥٣

١٢- الرعد : الآية ٧ ، ينظر : فخر الدين الطريحي ، مجمع البحرين، ١/ ٤٧٥

١٣- ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٣٥٥

١٤- سورة النساء:١١٦

١٥- سورة البقرة:١٠٨

١٦- سورة غافر:٢٥، ينظر: القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ٣٠٥/١٥

١٧- سورة الشعراء:٩٧

١٨- القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ١٦/١٣
١٩- سورة الكهف:١٠٣-١٠٤
٢٠- جامع البيان ،٤١/ ١٦٥
٢١- سورة محمد : ١
٢٢-الطبراني ، التفسير الكبير ، ٣٢/٦
٢٣- سورة ال عمران : ٦٩
٢٤-الطبري جامع البيان ، ٣/ ٤١٩
٢٥- سورة الأحزاب:٣٦
٢٦- سورة القلم:٢٦
٢٧- الدامغاني ، الوجوه والنضائر ، ٣٠/٢
٢٨- سورة يوسف:٨
٢٩- الطبري، جامع البيان ، ١٢/ ٢٠٢
٣٠- الوجوه والنظائر ، ص ٣٠٠
٣١- سورة يوسف :٣٠
٣٢- سورة الشعراء:٢٠
٣٣- الطبري، جامع البيان ، ١٩/ ٨٤
٣٤- سورة البقرة:١٨٢
٣٥- سورة نوح : ٢٤
٣٦- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير( تفسير ابن عاشور )، ٢٩/ ١٩٦
٣٧- سورة التوبة: ٣٣
٣٨- الطبراني ، التفسير الكبير ( تفسير القرآن العظيم )، ٣/ ٣٠٧، ابو الليث السمرقندي ، تفسير السمرقندي ، ٣٠٤/٣
٣٩- سورة الكهف: ١٣
٤٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٥/ ٢٥٩.
٤١- سورة البقرة:٥
٤٢- سورة الليل:١٢
٤٣- الطبرسي، مجمع البيان، ١/ ٩٠، ٣٧٧ ، البغوي، معالم التنزيل، ٦٦/١، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٤٨٣
٤٤- سورة طه:٥٠ ، ونحوه: قوله تعالى: { وَالَّذِي قَدَّرَ فهدى} ، سورة الأعلى:٣
٤٥- أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط ، ٤٥/١، الثعالبي ، جواهر الحسان ، ١٦٧/١
٤٦- الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٩٠ /٣٠
٤٧- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ٣/ ٤٧٦
٤٨- الطبرسي ، مجمع البيان ، ١٠/ ٣٢٩
٤٩- سورة الإسراء:٩٤
٥٠- الزمخشري، الكشاف ، ٤٦٦/٢
٥١- سورة غافر:٥٣
٥٢- ينظر : أبو الليث السمرقندي ، تفسير السمرقندي، ٣/ ٢٠١ ، الطوسي ، التبيان ، ٨٦/٩
٥٣- سورة البقرة : ٣٨ ، وللغرض نفسه ، سورة طه: ١٢٣
٥٤- ينظر : الطبراني ، التفسير الكبير ، ١/ ١٥٤، الثعلبي ، الكشف والبيان في تفسير القرآن ، ١٨٥/١، البغوي ، معالم التنزيل ، ٦٦/١
٥٥- سورة الأنعام:٩٠
٥٦- مقاتل بن سليمان ، تفسير مقاتل بن سليمان، ١/ ٣٥٨ ، الطبراني، التفسير الكبير ( تفسير القرآن العظيم )، ٦/ ٢٦، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل ، ٣٧٣/٤
٥٧- سورة الرعد:٧
٥٨- الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٣/ ١٣٩ ، ابن أبي الزمنين، تفسير ابن زمنين، ٢/ ٣٤٦
٥٩- سورة آل عمران:٨٦، ومن الآيات الأخرى، سورة المائدة : ٥١ ، سورة الأنعام:١٤٤، سورة القصص : ٥٠ ، سورة الأحقاف: ١٠ ، سورة البقرة : ٢٥٨ ، سورة التوبة ١٩ و ١٠٩ سورة الصف: ٧، سورة آل عمران: ٨٦، سورة الجمعة: ٥.

٦٠- سورة المائدة: ١٠٨، ومن الآيات الأخرى، سورة المنافقون:٦ ،وسورة الصف:٥،وسورة التوبة:٢٤ و٨٠ ، وسورة المائدة :١٠٨ .

٦١- سورة النحل: ١٠٧ ، ومن الآيات الأخرى، سورة المائدة: ٦٧، وسورة البقرة: ٢٦٤، وسورة النحل: ١٠٧، وسورة التوبة: ٣٧ .

٦٢- سورة يوسف: ٥٢

٦٣- سورة سبأ : الآية ٢٤

٦٤- سورة الأعراف: ٦٠- ٦١

٦٥- سورة البقرة: ١٦

٦٦- سورة البقرة: ١٧٥

٦٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/ ٢٠١

٦٨- قتادة بن دعامة السدوسي البصري : ضرير البصر، يكنى أبا الخطاب، تابعي من الطبقة الثالثة، ثقة، وكان حجة في الحديث، وكان يتهم بقدر وكان لا يدعو إليه ولا يتكلم فيه، كانت وفاته بواسط في الطاعون سنة( ١١٧ هـ ) وعمره ست أو سبع وخمسون سنة. ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٧١/٧، العجلي ، معرفة الثقات، ٢١٥/٢،ابن كثير ، البداية والنهاية، ٣٤٣/٩

٦٩- الطبري ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٠/ ٢٩٣ ، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٤/ ٥٥٩

٧٠-الشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي، تفسير كتاب الله العزيز، ٤/ ٤٦٥ ، أبي منصور الماتريدي ، تأويلات أهل السنة ( تفسير الماتريدي )، ١٠/ ٥٦١ ، أبو الليث السمرقندي ، تفسير السمرقندي ، ٣/ ٥٦٨ ، الثعلبي ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ٢٢٦/١٠، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ١٠/ ٣٦٩، الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ٤/ ١٠٣، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ٤/ ٤٩٩، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠/ ٩٦-٩٨ ، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، ص ٩٢٨، الثعلبي ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ٢٢٦/١٠

٧١- سورة الشورى : ٥٢ ، وكقوله عزّ وجلّ : { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ} سورة يوسف : ٣

٧٢- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧ ، ناصر مكارم الشيرازي ، تفسير الامثل في كتاب الله المنزل ، ٢٠/ ٢٨١-٢٨٢

٧٣- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧

٧٤- ينظر : الشيخ مكارم الشيرازي ، تفسير الامثل في كتاب الله المنزل ، ٢٠/ ٢٨١-٢٨٢

٧٥- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٨

٧٦- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٨ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠/ ٩٦

٧٧- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠/ ٩٦-٩٨

٧٨- سورة البقرة : ١٤٤ ، ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ١٠/ ٢٢٩ ، فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧ -٢١٨ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠/ ٩٦-٩٨

٧٩- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٧/١٣

٨٠- الحر العاملي ، وسائل الشيعة:٨٨/٨، المامقاني، مرآة الكمال لمن رام درك مصالح الأعمال، ٢٨٩/١

٨١- المجلسي ، بحار الأنوار:٢٨٠/١٨

٨٢-الماتريدي ، تأويلات أهل السنة ( تفسير الماتريدي )، أبو الليث السمرقندي ، تفسير السمرقندي ، السمعاني، تفسير السمعاني، ٦/ ٢٤٥

، الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ١٠/ ٣٨٣ ، ٣/ ٥٦٨ ، ١٠/ ٥٦٠ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠/ ٩٦-٩٨، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٦/ ٣٦٢

٨٣-القمي، تفسير القمي، ٢/ ٤٢٧ ، الشريف المرتضى، تفسير الشريف المرتضى ( نفائس التأويل )، ٣/ ٤٦٦ ، فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠/ ٩٦-٩٨ ، القمي، تفسير القمي، ٢/ ٤٢٧ ، الشريف المرتضى، تفسير الشريف المرتضى ( نفائس التأويل )، ٣/ ٤٦٦

٨٤- الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ١٠/ ٣٦٩

٨٥- التفسير الصافي، ٥/ ٣٤١ .

٨٦- الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ١٠/ ٢٢٨، فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧

٨٧- الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠/ ٩٦-٩٨

٨٨- سهل بن عبد الله التستري، تفسير التستري، ص ١٩٧ ، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ١٠/ ٢٢٨ ، فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٦ - ٢١٨ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠/ ٩٦-٩٨.

٨٩- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧

٩٠- سورة يوسف : ٣ . ينظر : الماتريدي ، تأويلات أهل السنة ( تفسير الماتريدي )، ١٠/ ٥٦١

٩١- الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ١٠/ ٢٢٨ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠/ ٩٦-٩٨

٩٢- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٨

٩٣- القاضي عياض / الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ١١٣/٢ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،٢٠/ ٩٧

٩٤- السيد محمد باقر الحكيم ، تفسير سورة الحمد ، ص ٢١٨-٢١٩

٩٥- سيد محمد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ١٥/ ٤٢٩

٩٦- المهيع يعني :الطريق الواضح. ينظر: ابن سيده، المخصص، ٤٤/١٢

٩٧- الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، ٥/ ٦٠٢

٩٨- الماتريدي ، تأويلات أهل السنة ( تفسير الماتريدي )، ١٠/ ٥٦١

٩٩- الطبراني : التفسير الكبير ،٥١٧٦/٦، الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ١٠/ ٣٨٣

١٠٠- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠/ ٩٦-٩٨

١٠١- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ٤/ ٤٩٩، الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ١٠/ ٣٨٣ ، فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧.

١٠٢- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ٤/ ٤٩٩، فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧.

١٠٣- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ٤/ ٤٩٩، الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ١٠/ ٣٨٤ ، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ٨/ ٢٦٩،

١٠٤- الماتريدي ، تأويلات أهل السنة ( تفسير الماتريدي )، ١٠/ ٥٦١، الطباطبائي، تفسير الميزان، ٢٠/ ٣١٠

١٠٥-الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١٠/ ٢٢٨ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/ ٩٦-٩٨ ،

١٠٦- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٨
١٠٧-الشريف المرتضى، نفائس التأويل (تفسير الشريف المرتضى)، ٤٦٥/٣-٤٦٦، الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ١٠/ ٣٨٣.
١٠٨- الطبراني، التفسير الكبير ( تفسير القرآن العظيم )، ٦/ ٥١٧
١٠٩- سورة النجم : ٢ . ينظر: فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١
١١٠- القاضي عياض ،الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ١١٣/٢
١١١- سورة الشعراء : ٢١٩ ، ينظر: الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، ٢/ ٤٨٨
١١٢- سورة الشعراء : الآية ١٩. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ١٥٢/١٩، محمد النقي الشيباني، مختصر نهج البيان، ص ٣٧٦
١١٣- الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن ،٥/ ٦٠٢
١١٤- الشريف المرتضى، نفائس التأويل (تفسير الشريف المرتضى)، ٣/ ٤٦٧
١١٥- عبد الرحمن بن محمد العتائقي الحلي، مختصر تفسير القمي ، ص ٥٣٤
١١٦- الطباطبائي، تفسير الميزان، ٢٠/ ٣١٠
١١٧- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٨
١١٨- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣/ ١٦٧
١١٩- السدي : هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الأسدي أبو محمد القرشي الكوفي الأعور كان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة فسمي السدي ، رأى الحسن بن علي ، صدوق يهم، رمي بالتشيع ، مر به إبراهيم النخعي وهو يفسر فقال أما إنه يفسر تفسير القوم ، وقيل للشعبي ان إسماعيل السدي قد أعطي حظا من علم القرآن قال: إن إسماعيل قد أعطي حظا من جهل القرآن، مات سنة ١٢٧ هـ . ينظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ٤١٦/١ ، ابن عدي الجرجاني ، الكامل ، ٢٧٦/١
١٢٠- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ١٩٠
١٢١- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧/ ٩-١٠
١٢٢- البداية والنهاية، ٢/ ٣٥٢ ، السيرة النبوية ، ٢٥٣/١ ، ، ينظر كذلك الحلبي ، السيرة الحلبية، ١/ ٢٠٤
١٢٣- ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٢٥٣/١
١٢٤- ابن اسحاق ، السيرة النبوية ، ٧٦/٢
١٢٥- البيهقي ، دلائل النبوة، ٣٧/٢
١٢٦- الحمس : جمع أحمس ، وهو الشديد الصلب ، وهم قريش وسميت حمسا لزعمهم بأنهم اشتدوا في دينهم إلى حد التزهد والتألـه ; ودخل معهم كنانة وخزاعة وقيل بنو عامر بن صعصعة ، وكانت قريش ومن يدين دينها يقفون عشية عرفة بالمزدلفة ويقولون : نحن قطن البيت ، نحن الحمس لم نسب قط ولا دخل علينا في الجاهلية وليس نفارق الحرم ، وكان بقية الناس والعرب يقفون بعرفات. ينظر : ابن إسحاق، السيرة النبوية ،٧٦/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٥٢/٢
١٢٧- البيهقي ، معرفة السنن والآثار، ١٠٩/٤
١٢٨- ابن كثير ، البداية والنهاية، ٢/ ٣٥٢
١٢٩- ابن كثير ، البداية والنهاية، ٢/ ٣٥٢
١٣٠- الحلبي ، السيرة الحلبية، ١/ ٢٠٤ - ٢٠٥
١٣١- الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد، ٢/ ١٥٠
١٣٢- ابن هشام ، السيرة النبوية، ١/ ١٠٨
١٣٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ١١٢

١٣٤- المناقب ، ١/ ٣٤
١٣٥- ابن شاذان القمي ، الفضائل ، ص ٣٦-٣٧٦
١٣٦- البلاذري ، أنساب الأشراف، ١/ ٩٥
١٣٧- الحلبي ، السيرة الحلبية ، ١٥٥/١
١٣٨- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ٤/ ٤٩٩،الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ١٠/ ٣٨٤ ، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ٨/ ٢٦٩، فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٧
١٣٩- ابن عربي، الفتوحات المكية، ١/ ٤١٨
١٤٠- جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، ٣٤٧/٢٣-٣٤٨
١٤١- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٠١/١١ ( خطبة رقم ٢١٠ )
١٤٢- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة ، ٩٩/١ ، ابن شهر آشوب ، المناقب ، ١٧٦/٢

## المصادر والمراجع

**المصادر:**


- **القرآن الكريم**

*** ابن اسحاق ، ابو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني ( ت ١٥١ ه ) ،**

١- السيرة النبوية ، تح : احمد فريد المزيدي ، ( منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت )

*** البغوي ، ابي محمد الحسين بن مسعود البغوي ( ت ٥٥١٦ ) ،**

٢- معالم التنزيل ، ، تح : محمد عبد الله النمر واخرون ، ط ،( دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧ م )

*** البيهقي ، ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ( ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦م ) ،**

٣- السنن الكبرى ، ( دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت )

٤- معرفة السنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن أدريس الشافعي ، تحقيق سيد كسروي حسن ، ( دار الكتب العلمية ، بيروت ، ( د . ت ).

*** التستري ، سهل بن عبد الله التستري ( ت ٢٨٣ هـ )**

٥- التفسير ( منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ )

**الثعالبي ، عبد الرحمن بم محمد بم مخلوف الثعالبي ( ت ٨٧٥ ه ) ،**

٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ( تفسير الثعالبي ) ، تح : عبد الفتاح أبو

سنة واخرون ، ط١ ،( دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤١٨ه - ١٩٩٧ م )
* **الثعلبي ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ( ت ٤٢٧ هـ /١٠٣٦م) ،**
٨- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ( تفسير الثعلبي ) ، تح: أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق : نظير الساعدي ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢ - ٢٠٠٢م )
**الجوهري ، ابو نصر اسماعيل بن حماد(ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م )،**
٨- الصحاح ، رتبه وصححه ابراهيم شمس الدين ، ( دار الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٢ ).
* **ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي ( ت ٥٩٧ ه/ ١٢٠١م) ،**
٩- زاد المسير في علم التفسير ، تح : محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، ( دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م)
**ابن ابي الحديد ، عز الدين ابي حامد عبد الحميد بن هبة الله مدائني المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م)**
١٠- شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتاب العربي ، (بغداد ٢٠٠٥ )
* **الحر العاملي ، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ( ت ١١٠٤ هـ/١٦٩٣م ) ،**
١١- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، ط٢ ، ( مؤسسة آل البيت ( عليهم السلام ) لإحياء التراث ، قم المشرفة ،جمادي الآخرة ١٤١٤ هـ )
* **الحلبي ، نور الدين ابو الحسن علي بن إبراهيم القاهري الشافعي ( ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٥٣م ) ،**
١٢- السيرة الحلبية، ( دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ )
* **ابي حيان الاندلسي ، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي ( ت ٧٤٥ هـ/١٣٤٥م) ،**
١٣- تفسير البحر المحيط ، تح : عادل احمد عبد الموجود ، وعلي محمد عوض ، ط١ ، ( دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ه - ٢٠٠١ م )
**الدامغاني ، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت ٤٧٨ هـ)**
**١٤-** الوجوه والنضائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تح: محمد حسن أبوالعزم الزفيتى ،( المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهره، ١٤١٦ هـ )
* **الزبيدي ، محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني الحنفي ( ت ١٢٠٥ هـ/١٧٩١م )**
١٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : : علي شيري ، ( دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٤ م / ١٤١٤ )
**الزمخشري ، ابي القاسم جار الله محمود**

**بن عمر الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) ،**
١٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م)
**ابن ابي الزمنين ( ت ٣٩٩ هـ )**
١٧- تفسير ابن زمنين ، تح: بو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز ، ( الفغاروق الحديثة ، ٢٠٠٢م)
* **ابن سعد ، محمد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م )**
١٨- الطبقات الكبرى ، تح : زياد محمد منصور ، ( دار صادر ، بيروت ، د.ت )
* **السمعاني ، ابو المظفر منصور بن محمد السمعاني ( ت ٤٨٩ هـ /١٩٩٦م) ،**
١٩- تفسير السمعاني ، تح : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم ، ط١ ، ( دار الوطن ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٨ - ١٩٩٧م )
* **ابن سيده ، أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ( ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦م ) ،**
٢٠ - المخصص ، تح : لجنة إحياء التراث العربي ، ( دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت )
* **السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ( ت ٩١١ ١٥٠٦/٥م ) ،**
٢١- - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ( دار المعرفة ، بيروت ، ( د . ت )
* **ابن شاذان ، أبي الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل ابن أبي طالب القمي نزيل المدينة النبوية ( ت نحو سنة ٦٦٠ هـ )**
٢٢- الفضائل، (منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها ، النجف الأشرف، ١٩٦٢)
* **الشريف المرتضى ، أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي ( ت ٤٣٦ هـ)،**
٢٣- تفسير الشريف المرتضى ( نفائس التأويل )، تح: ، مجتبى احمد موسوي (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، ١٤٣١ هـ )
* **الصالحي الشامي، لإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢ هـ )**
٢٤- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ( دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٣ م)
* **الطبراني ، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن ايوب اللخمي الطبراني ( ت ٣٦٠ هـ/٩٧١م ) ،**
٢٥- التفسير الكبير ( تفسير القرآن العظيم )، (دار الكتاب الثقافي ، الاردن ، اربد، ٢٠٠٨ م)
٢٦- المعجم الكبير ، تح: حمدي عبد المجيد السلفي ، ( دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ )
* **الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ( ت ٥٤٨ هـ/١١٥٤م ) ،**

٢٧- مجمع البيان في تفسير القران ، تح : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، قدم له : السيد محسن الأمين العاملي ، ط ١ ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م )
* **الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ( ت ٣١٠ ه /٩٢٣م) ،**
٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن **، تح:أحمد محمد شاكر، ط١ ،(مؤسسة الرسالة ، بيروت ،٢٠٠٠ م )**
* **الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ( ت ٤٦٠ هـ /١٠٦٨م) ،**
٢٩- اختيار معرفة الرجال ( رجال الكشي ) ، تح : السيد مهدي الرجائي ، ( مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، مطبعة بعثت ، قم ، ١٤٠٤ )
٣٠- التبيان في تفسير القرآن ، تح : أحمد حبيب قصير ، ( **دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (ب.ت))**
* **الطريحي ، فخر الدين الطريحي ( ت ١٠٨٥ هـ )**
٣١- مجمع البحرين ، تح : السيد احمد الحسيني، ( مرتضوي ، طهران، ١٣٦٢ ش )
* **العجلي ، أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب ( ت ٢٦١ هـ )**
٣٢- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تح: عبد العليم عبد العظيم البستوي، (مكتبة الدار ، المدينة المنورة، ١٤٠٥ هـ)
* **إبن عربي ، محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحاتمي الطائي ( ت ١٢٤١/٦٣٨م ) ،**
٣٣- الفتوحات المكية ، ( دار صادر ، بيروت ، د.ت )
* **ابن عدي الجرجاني ، الامام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ( ت ٣٦٥ هـ /٩٧٦م) ،**
٣٥- الكامل في ضعفاء الرجال ، تح سهيل زكار ، و يحيى مختار غزاوي ، ط٣ ، ( دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٩ ه - ١٩٨٨ م )
**عبد الرحمن بن محمد العتائقي الحلي ( ت ٧٩٠ هـ )**
**٣٦- مختصر تفسير القمي ، (مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية ، قم ، ١٤٣٢ ه)**
* **ابن فارس ، ابو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، ( ت ٣٩٥ه /١٠٠٥م) ،**
٣٧- معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الإعلام الإسلامي ، طهران ،١٤٠٤ ه)
* فخر الدين **الرازي ، ابو عبد الله محمد فخر الدين بن عمر بن الحسن الرازي ( ت ٦٠٤ ه/١٢٠٨م )**
٣٨- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ط١، ( دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠١ه - ١٩٨١ م )
* **الفيض الكاشاني ، المولى محسن الفيض**

**الكاشاني ( ت ١٠٩١ هـ/١٦٨٠٩م ) ،**
٣٩- تفسير الصافي ، صححه وقدم له وعلق عليه : الشيخ حسين الأعلمي ، ط٢ ، ( منشورات مكتبة الصدر ، طهران ، ١٤١٦ ه )
* **القاضي عياض ، ابي الفضل عياض اليحصبي ( ت ٥٤٤ هـ/١١٥٠م ) ،**
٤٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ( دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨ )
* **القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ( ت ٦٧١ ه /١٢٧٣م) ،**
٤١- الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي) ، (دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)
* **القمي ، ابو الحسن علي بن إبراهيم القمي ( ت نحو ٣٢٩ هـ/٩٤١م ) ،**
٤٢- تفسير القمي ، صححه وعلق عليه وقدم له : العلامة السيد طيب الموسوي الجزائري ، ط٣ ،( مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم ، ١٤٠٤ )
* **ابن كثير ، الامام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ( ت ٧٧٤ هـ /١٣٧٣م) ،**
٤٣- البداية والنهاية ، تح: علي شيري، ط١ ، ( دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م )
٤٤- تفسير القرآن العظيم ( تفسير ابن كثير ) ، تح : سامي بن محمد سلامة ، ط٢ ، (دار طيبة للنشر والتوزيع ، ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م)
٤٥- السيرة النبوية ، تح : مصطفى عبد الواحد ، ( دار المعرفة للطباعة - بيروت ، ١٣٩٦ - ١٩٧٦ م)
* **أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ )**
٤٦- تفسير السمرقندي المسمى ( بحر العلوم )، تح : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، ( دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، ١٤١٦ هـ )
* **الماتريدي ،** الإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت ٣٣٣ هـ )
٤٨- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، تح مجدي باسلوم ، ( دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان)
* **المجلسي ، العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١ هـ /١٧٠٠م) ،**
٤٩- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط٢ ، ( مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٩٨٣ م )
* **مقاتل بن سليمان ، ابو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي الازدي ( ت ١٥٠ هـ/٧٦٧م) ،**
٥٠- تفسير مقاتل بن سليمان، تح : أحمد فريد ، ط١،( دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٢٤-٢٠٠٣م )
* **ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ( ت ٧١١ هـ /١٣١٢م) ،**

٥١- لسان العرب ، ( نشر أدب الحوزة ، قم ، ١٤٠٥ هـ - ١٣٦٣ ق )
*** ابن ميثم البحراني ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ( ت ٦٧٩ هـ/١٢١٨م ) ،**
٥٢- شرح نهج البلاغة ، تح : عدّة من الأفاضل ل مركز انتشارات اعلام الحوزه العلمية ، قم ،( مركز انتشارات است ، قم ، تابستان ١٣٦٢ )
*** محمد النقي الشيباني ، محمد بن علي النقي الشيباني ( ت ٩٩٤ هـ)**
٥٣- مختصر نهج البيان ، (منظمة الاوقاف و الشؤون الخيرية ، دار الأسوة للطباعة و النشر ،طهران، ١٣٧٦ هـ.ش )
*** ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري ( ت ٢١٨ هـ )**
٥٤- السيرة النبوية ، سيرة ابن هشام ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (مكتبة محمد علي صبيح وأولاده – بمصر ، القاهرة ، ١٣٨٣ - ١٩٦٣ م)
*** أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (ت ٣٩٥ ه /١٠٠٥م) ،**
٥٥- الوجوه والنضائر، تح : مكتبة الثقافة الدينية ،(مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، ٢٠٠٧ م)
*** هود الهواري ، لشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي ( القرن الثالث الهجري)**
**٥٦- تفسير كتاب الله العزيز، ( دار البصائر ، بيروت ،١٤٢٦ هـ )**

**المراجع :**

*** جعفر مرتضى العاملي ،**
٥٧- الصحيح من سيرة النبي الأعظم ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) ، (دار الحديث للطباعة والنشر - قم – ايران ، ١٤٢٦ هـ)
*** السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ( ت ١٣٧٦ هـ )**
٥٨- تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان ، تح : ابن عثيمين ( مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٠ م)
*** الطباطبائي ، السيد محمد حسين الطباطبائي ( ت ١٤٠٢ ه ) ،**
٥٩- الميزان في تفسير القرآن ، ( مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت )
*** ابن عاشور ، لشيخ محمد الطاهر ابن عاشور( ت ١٤٢٠ هـ )**
٦٠- تفسير التحرير والتنوير ( تفسير ابن عاشور ) ، (مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت، ١٤٢٠ هـ )
*** علي خان المدني الشيرازي ،**
**٦١-** رياض السّالكين في شرح صحيفة سيد السّاجدين،تح : السيد محسن الحسيني الأميني، ( مؤسسة النشر الإسلامي التّابعة لجماعة المدرسّين بقم المشرّفة ، ١٤١٥ ه )
*** المامقاني، الشيخ عبد الله المامقاني ( ت ١٣٥١ هـ)**
٦٢- مرآة الكمال لمن رام درك مصالح الأعمال، تح : تحقيق الشيخ محيي الدين المامقاني (دليل ما
، قم ، ١٤٢٧ هـ . ق)
*** محمد باقر الحكيم ( ١٤٢٤ هـ)**
٦٣- تفسير سورة الحمد ، ( مجمع الفكر الاسلامي ، قم ، ١٤٢٤ هـ )

* محمد طنطاوي
٦٤- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ( دار السعادة ، القاهرة ، (د.ت)
* المصطفوي ، الشيخ حسن المصطفوي ،
٦٥- التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ط١ ، ( مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي - مركز نشر اثار العلامة المصطفوي ، طهران ، ١٤١٦ ه )
* الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
٦٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، نقحه واخرجه محمد علي اذرشب ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ٢٠٢١ )